تجلّيات إنسانيّة وجماليّات فنّية
في رواية الخيال العلمي

د. محمد أحمد أبو عدل

أستاذ مشارك في قسم الإنسانيات – جامعة اليمامة – الرياض

Humanitarian Manifestations and Technique Aesthetics in Novel of Science-Fiction

m_aboadel@yu.edu.sa

الملخص

يستكشف البحث التجليات الإنسانية والجماليات الفنية في رواية "أنا الآخر" لسونيا بوماد، بالتركيز على ما تميزت به الرواية من مثل: اتصافها بتكثيف الأحداث وخلوّها من الحشو، ودقة الوصف، وتعدد تقنيات الجذب والتشويق للقارئ.

أما على صعيد المضمون، فيكشف البحث الجوانب الإنسانية في قضيتين أثيرتين في الرواية؛ الأولى سلطتُ الضوء فيها على التبعات السلبية لإساءة استخدام العلم بما قد ينتهك كرامة الإنسان ويهدد وجوده، والثانية التمست فيها المواضع التي دعت إلى قبول الآخر المختلف ونبذ خطاب الكراهية الذي يعد سببًا رئيسًا في تراجع المجتمعات وتقهقرها.

Abstract:

This paper explores Humanitarian Manifestations and Technique Aesthetics in Souni Bomad's novel "I am that I am", focusing on what distinguished the novel for instance: its intensity of events, its free of redundancies, the accuracy of the description, and the multiplicity of the techniques of attraction and suspense for the reader. As for the content, paper explores the human aspects in two significant issues, the first one in which I highlight the consequences of misusing science that may violate human dignity and threaten its existence. The second one in which I identify points that call for the acceptance of the different other and the rejection of hate speech, which can cause societies to regress.

المقدمة:

تحاول هذه المقاربة النقدية أن تعكس جمالية السرد الروائي بما فيه من أهمية الأحداث وغرابتها وعنصر المفاجأة فيها والإدهاش، مع الحرص على حيوية السرد النقدي نفسه من خلال تحليل الأحداث ذات العلاقة بموضوع البحث مع المحافظة ما أمكن على تسلسلها الجاذب، تجنبًا للأسلوب المباشر والجاف الذي تمجه ذائقة عامة القراء؛ إذ يحرص البحث على اتباع أسلوب حيوي يحقق المنفعة والمتعة في آن وعلى أوسع نطاق، من خلال تجنيبه زحمة المصطلحات النقدية؛ فليست الغاية من البحث الاستحواذ على رضى الأكاديميين المختصين؛ بقدر ما هي مخاطبة الذائقة العامة والشريحة الكبرى لمختلف القراء والمثقفين؛ كي تعم فائدة الخطاب النقدي بلغته الواضحة المفهومة غير المعقدة. بتعبير آخر يسعى البحث إلى تجميل خطابه النقدي وتبسيطه؛ ليكون مستساغَ القراءة من ناحية؛ وليستشعر القارئ –أيًّا كان انتماؤه المعرفي– أجواء الرواية، ويعايش شخصياتها وأحداثها، فيكون أقدر على فهم التحليلات النقدية المرافقة والاستمتاع بها.

يحتاج الروائي أن يكون مطلعًا على طبيعة الموضوع الذي يتناوله، محيطًا بعوالم الشخصيات التي يرسمها، وأن يكون على مستوى عالٍ من الثقافة، على الأقل في حدود ما يكتب، لذلك واظبت الروائية على متابعة هذه الحالات في أحد المراكز المختصة، كي تلمَّ بها فكريًا ونفسيًا وسلوكيًا، فتكتب عنها انطلاقًا من معرفة، فلا يكون ما تكتبه منفصلًا عن الواقع[1] . وإذا كان الروائي مطالبًا بامتلاك الثقافة الكافية في الموضوع الذي يكتب عنه؛ كي يقارب الحقيقة ويكون مقنعًا في طرحه الفني على أسس واقعية، فمن باب أولى أن يكون الناقد مطلعًا على المحتوى الثقافي الذي يقاربه في الأعمال الفنية، ولا سيما عندما تكون الدراسة موضوعية، مع الاحتراس على ألا تطغى المعرفة العلمية وقضاياها على أدبية النص نفسه. إن هذه المنهجية تتطلبها دراسة الفن الروائي أكثر من سواه من الأجناس الأدبية؛ لأنه ليس جزءًا من الأدب فحسب، بل هو نافذة تطلُّ على مختلف العلوم الإنسانية، إنه عوالم ثقافية جديدة ومبتكرة، وكل رواية ثمرة شهور وربما سنين من التفكير والإبداع والمعاناة. والروائيون أناس يتمتعون بإحساس مرهف ورؤية ثاقبة للوجود، يبحرون في التأمل واستقراء الحياة لإعادة صوغها بما يجعلها أكثر جمالًا، ويجعلنا أكثر وعيًا وفهمًا؛ لأنها تبصِّرنا بأسرار الحياة والإنسان بطريقة فنية ماتعة. نهدف في هذا البحث إلى دراسة غنى المعنى وجمالية المبنى، لذلك ارتأينا تقسيم البحث إلى محورين أساسيين: الأول يسلط الضوء على أكثر ما يميز الرواية فنيًّا، وأعني "جمالية الوصف وفاعلية التشويق"، مستخدمًا المنهج البنيوي الشكلاني ((Formalism Structuralism؛ إذ يمكن الاستغناء عن كل معرفة حول المؤلف في دراسة هذا الجانب الشكلي، في حين تناول المحور الثاني النزعة الإنسانية، ويناسبه المنهج البنيوي التكويني (Genetic Structuralism)؛ الذي يفيد من علمي النفس والاجتماع؛[2]* من أجل تفسير السوك الاجتماعي لبعض الشخصيات. تمتع هذه الرواية بأسلوب فني قادر على اجتذاب المتلقي، فضلًا عن غنى محتواها الإنساني بعيدًا عن الثرثرة والحشو؛ لذا ارتأيت أنه من غير الإنصاف تجاهل مواطن الإبداع والخصوصية في بنائها الفني قبل العروج إلى دراسة نزعتها الإنسانية.

أولًا– جمالية الوصف وفاعلية التشويق في الافتتاحية: إن أجمل ما في هذه الرواية فنيًّا التشويق (Suspense)[3]*) والغموض اللذيذ، وحالة الترقُّب التي تخلقها لدى القارئ مع كل صفحة يقرأها، نوع من التعمية المقصودة والعفوية في آن، تتكشف الأحداث رويدًا رويدًا، معها يشعر

القارئ بالحيرة، ويتساءل عن الأحداث غير المكتملة. كأنما تقصدت الروائية نثر مطلع الرواية بمجموعة من الأسرار الغامضة التي تثير فضول القارئ؛ ليتابع جريان الأحداث رغبة في العثور على الإجابات الشافية لتلك الأسرار، من ذلك وصف الراوي المختبر السري ومحتوياته، مثل الآلة الغريبة ذات الشفرات الحادة التي تبتلع كل ما يوضع فيها: "فوق هذه الآلة الغريبة صنبور ماء، فتحه وراح يغسل زواياها وخرومها، عساه يمحو من الذاكرة صورة تلازمها، وهي تبدد ما رمي فيها، ليمتزج مع الماء ويلونه بلونه، مختفيًا داخل أنابيب الصرف الصحي، حاملًا معه أشلاء ورواسب حمراء تخفي خلفها عشرات القصص المرعبة. أقفل الحنفية بإحكام، بيديه المرتجفتين التي كاد يفقد السيطرة عليهما بعد أن تأكد من أن كل شيء قد بات على ما يرام، رمقها بنظراته الحادة، ثم حدَّثها قائلًا:

– لقد عاهدت نفسي منذ ذلك اليوم أن أتجنب تشغيلك من جديد، ولكم لن أتردد في ملء أحشائك، إن تجرأ أحد ما على هدم ما بنيت!" (بوماد، ٢٠١٦، ص٨).

موحيًا للقارئ أنها كانت للتخلص من أي أثر لضحايا العالِم (سالم) الذين يعترضون طريقه، ولكن كيف ولماذا ومن هم؟ لا مزيد من التفاصيل حينها. يثير فضولنا سر آخر يحرص عليه العالم سالم ويخشى انفضاحه ألا وهو:

""الاستنساخ البشري". تلفَّت بقلق يمينًا وشمالًا بعينيه الواسعتين، حضن دفتره بقوة.. ضمه إلى صدره، علَّه يخفي ما فيه من مسكن أسرار، كي لا يراه أحد بعد اليوم.

– سرّي الدفين.. عصارة عمري ومجهود أيامي وسهر ليالي. لن تصل إليه يد مخلوق" (بوماد، م.ن، ص٩).

مثل هذه الإيحاءات تنمّي في نفس القارئ عنصر التشويق، وتدفع الضجر بعيدًا عن سردية هذه الرواية، فالرواية الجيدة هي التي تصطاد قارئها بدءًا من العنوان، وتجرفه في تيارها السردي دون أن يقوى على انتشال نفسه، وصولًا إلى مصبّها في الخاتمة. ولكن جمالية الحبكة تكمن في الاحتمالات المتعددة التي تخلقها لمثل هذه الأحداث المنقوصة التي يطفو بعضها في غمرة السرد، وعلى القارئ أن يتخيل بقيتها المغمورة والتي لم ينحسر السرد عنها بعدُ لتظهر، فيجري القارئ مع السرد فضولًا؛ كي يتعرف الحقائق التي ما تزال غائبة. تمتلك هذه الرواية من سحر الوصف الدقيق الحيوي ما ينقل القارئ إلى عالم الرواية، فينسى أنه يقرأ، بل يستمتع برؤية تتالي المشاهد المتخيلة؛ لقدرتها على التجنيح بمخيلة القارئ، وبانتقال عينيه من وصف إلى آخر يشعر بانتقالهما من مشهد إلى آخر، فالمكان الذي تصفه الرواية يتجلى للقارئ بكل تفاصيله وجزئياته، كأنما يشاهد القارئ فيلمًا سينمائيًّا، يزينه وصف قائم على مبدأ الترهين السردي (Instances Narratives)؛ أي تزامن حركة الأحداث وجريانها مع انتقالات وصفها وقراءتها كما لو أننا نشاهدها لا نقرؤها... مشهد حي نقرأ فيه الشخصية، فتحضر في مخيلتنا بلحمها وشحمها، تتحرك فنلاحقها بأعيننا: "أقفل حاسوبه بغضب. تنشَّق جرعة إضافية من الأوكسجين، فما قرأ واقع يخيفه وينتظره منذ زمن. ترك مكتبه مسرعًا، وتوجه إلى الدور السفلي، ثم أخرج من جيبه مفتاح أحد أبوابه، وقبض عليه بحرص كأنه قطعة الـ"**puzzle**" الضائعة، التي لن يكتمل مشهد لوحته الأخير إلا بها. إنه مفتاح أسراره وماضيه الغامض، الذي أبى أن يشارك فيه أحدًا، حتى من قاسمه تفاصيل حياته، بحرص وقلق، فتح ذلك الباب الخشبي، بعد أن أدار المفتاح في قفله عدة مرات. نزل ببطء وبحذر الكهولة تلك الدرجات التسع، التي حفظ عددها كاسمه، أشعل الأنوار جميعها..." (بوماد، م.ن، ص٦). يتمتع الوصف بقدرته على استدراج القارئ باستراتيجيات متعددة، وأتخيل القارئ كالمخدَّر يتعقب خيوط الأحداث بحثًا عن الحقيقة الخطيرة الغائبة في ثنايا السرد، وما يثير حفيظة القارئ، وينبئ بخطورة الأحداث اللاحقة وأهميتها، الإكثار من المفردات التصويرية والانفعالية؛ مثل: "بغضب... مسرعًا... بحرص وقلق... ببطء وحذر... أسراره وماضيه الغامض"؛ ما يدل على أن البروفيسور شخصية غامضة يكتنفها الغموض والقلق. قلما نَصدفُ روايةً تخلو من الحشو، لكن هذه الرواية بالرغم من كبر حجمها الذي بلغ (٤٠٧) صفحات، إلا أن السرد والحوار فيها يتصفان بالتكثيف والغنى، وكل ما يُروى فيها لوظيفة يؤديها، أخذًا بمبدأ التحفيز التأليفي (Motivation Compositional)، فلا شيء يُوصف أو يُذكر في الرواية إلا لغاية تسهم في تطور الأحداث اللاحقة وتصاعدها، فضلًا عن تحفيز مخيلة القارئ وتشويقه واستدرار فضوله، فالرواية لا تكشف أوراقها دفعة واحدة للقارئ، حتى لا تقتل عنصر المفاجأة (Surprise)(*4)، بل تحرص على تقطيرها؛ بما يبقي على ظمأ القارئ إلى الكشف عن سر الغموض الذي يسيطر على جو الرواية.من هنا ندرك تمامًا حرص الكاتبة على تسليط الضوء في افتتاحية الرواية على مجموعة من المحفزات ذات الأثر البالغ في سير الأحداث وتناميها، من مثل: مذكرات العالِم في الاستنساخ البشري، وآلة الطحن الكبيرة والغريبة، والخزانة السرية المدفونة في أرضية المختبر تحت البار، والتي قال في وصفها: "أزاح الكراسي من أمامه، وأبعد السجادة الصغيرة من على الأرضية الخشبية، فظهرت حلقتان حديديتان يتخللهما قفل متين بأرقام، دُسَّ في مكان خاص به بين الأخشاب، وقد سُوِّي كل شيء بإحكام. بحذر شديد، أدار الأرقام

إلى الأعلى ثم إلى الأسفل، إلى أن فتح، فأبعد الغطاء لتتفحص عيناه ما أُخفي خلفه، كنزه الذي خبَّأه لسنين، وربما سيبقى مخبأً إلى الأبد... ترك دفتره، أفلته من يديه المرتجفتين، ثم أعاد إقفال تلك الخزانة، ووضع السجادة الصغيرة والكراسي فوق بابها من جديد. رفع نظره إلى الأعلى، وأطلق زفرة أخرجت معها قلق سنين طويلة" (بوماد، م.ن، ص٩). فلهذه الخزانة السرية والآلة ومذكرات الاستنساخ دور كبير وجوهري في كشف الحقائق الخطيرة في رحلة العالِم (سالم) نحو الاستنساخ البشري، وفي تغيير مسار الأحداث وتعقدها بما يرفع مستوى التوتر والتأهب لدى المتلقي. ويكثر استخدام مثل هذه التقنية في الأفلام السينمائية، عندما تُسلَّط عدسة الكاميرا على سكين أو مسدس لأجزاء من الثانية، في إشارة غير مباشرة وتحفيزية لخيال القارئ إلى ما سيكون لذلك الشيء من شأن في توجيه الأحداث، ومثل هذا أشار إليه (تشيخوف) بطرافة عندما ذكر أن عناية السرد بوصف مسمار في الجدار، يعني أن البطل قد يشنق نفسه عليه عند نهاية الرواية (بوريس، ١٩٨٢ ، ص٦٧). يُضاف إلى ما سبق من حوافز، الحلمُ الذي راود بطل الرواية (شافي) في مطلع الرواية؛ إذ رأى نفسه يمشي في ممر طويل ذي أبواب مقفلة في جدرانه، تذكِّر القارئ بأبواب المختبر الذي حرَّم والده (سالم) عليه وعلى سواه دخوله. يدفع أحد الأبواب الموارِبة، فيرى شابًا جالسًا على الأرض، وهناك رجل كهل يتسلل خلفه يريد خنقه: "فجأة، تنبه الجالس، استفاق من غيبوبته، استدار ببطء، فالتقت العيون، صعقته المفاجأة، وإذ به يرى نفسه مبتسمًا.. إنه هو، وتلك الأيدي تنقض على عنقه لتقطع أنفاسهما معًا. دوى صراخه في أرجاء المنزل. رفع جسده محاولًا إخراج أنفاسه المتعثرة، متحسسًا عنقه، تحلَّق حوله خدم البيت مذعورين؟؟ – سيد شافي.. ما بك يا سيدي؟ – آه إنه كابوس مريع، لا تقلقوا عليَّ، يا إلهي! كم هذا مرعب! أين والدي؟" (بوماد، م.ن، ص١٣). يمثل هذا الحلم أحد المحفزات الاستشرافية لمسار الأحداث اللاحقة، يثير حفيظة القارئ وتساؤلاته عن قصدية توظيف هذا الحلم في الكشف المبكر بالإيحاء عن مصير (شافي)، وهل فعلًا يمثِّل ذلك الكهلُ والدَه البروفيسور الذي طالما كان حريصًا على سرِّ المختبر ألا يعرفه أحد، ويتوعد في نفسه كل من يحاول كشف سره بالموت؟ وقد اقتربت اللحظة التي يريد أن يهدي فيها ابنه (شافي) ذلك المختبر بعد أن أخفى كل ما كان يخيفه فيه. فهل يمكن لـ (شافي) أن يكتشف سر والده بما يجعل الأخير يفكر في التخلص من ابنه؟ تساؤلات تحوم في مخيلة القارئ، ولا سبيل للإجابة عنها إلا بمواصلة تتبع خيوط السرد، ولا سيما أن الاحتمالات المطروحة كلها صعبة، فكيف لأب أن يقدم على قتل ابنه، وما السر الكبير الذي قد يدفعه إلى ارتكاب مثل هذا الجرم الفظيع؟ حرصًا على الموضوعية نشير إلى خلل فني يتمثل في أن الفكرة المحورية تقتضي أن تكون من المستقبل بما يجعل الرواية تنتمي إلى الخيال العلمي، لكن الأحداث خلت من أية مظاهر تُشعر القارئ بالزمن المستقبلي للرواية، فقد سيطرت على الرواية فكرة استنساخ العالِم سالم من ابنه المريض إنسانًا معدّلًا وراثيًا، معافى في بدنه، يشبه الأصل لكنه يتفوق عليه في إمكاناته وقدراته العقلية... وهي فكرة مستقبلية قدمتها الكاتبة بحُلَّة الزمن الحاضر لا المستقبل، فافتقر عالم الرواية إلى التجانس مع زمن الفكرة، إذ كانت الأحداث ومجرياتها كلها تشير إلى زمن لا يتعدى الحاضر الذي نعيشه بما لا يتفق مع فكرتها المستقبلية ولا يتجانس معها.

ثانيًا– تجليات النزعة الإنسانية:

تسلط الرواية الضوء على قضيتين إنسانيتين في قصتين تُرويان بشكل متناوب؛ الأولى تتناول إشكالية إساءة استخدام العلم من خلال علميات استنساخ بشري تتم في الخفاء مخالفة للدين والقانون، غير مبالية بالضريبة الأخلاقية والإنسانية التي تدفعها البشرية. والثانية تعرض قضية قبول الآخر المختلف من خلال ولوج أعماق أحد مرضى التوحد، والكشف عن معاناته في مجتمع غير قادر على فهمه، واحتوائه.

1–إساءة استخدام العلم (الاستنساخ البشري):

يبدع كُتَّاب روايات الخيال العلمي عوالمَ افتراضية مستقبلية انطلاقًا من فرضيات علمية يتوقعون حدوثها معوِّلين أيضًا على خيالهم الخصب، فينسجون أحداث رواياتهم من وحي خيالهم الواقعي، وينتجون رواياتٍ نَعجبُ من قدرتها على التنبؤ بأحداث ومتغيرات سابقة لعصرها، تتحقق لاحقًا في الواقع الموضوعي كما رسموا لها. لذلك لا عجبَ في أن سبق كُتَّابُ روايات الخيال العلمي علماءَ الوراثة في استنساخ شخصياتهم الخيالية، وهذا ما بيَّنته عالمة الأحياء (أوديل روبير) في ختام كتابها العلمي "الاستنساخ والكائنات المعدلة وراثيًا"، فقد استعرضت أكثر من ستِ روايات خيال علمي، بدءًا من رواية "القرد" لموريس رينارد وألبير جان عام ١٩٢٤ التي نجح فيها عالم شاب من استنساخ نفسه، والحضور في أكثر من مكان في الآن نفسه (روبير، ٢٠١٥، ص١١٢)، كما سبقت هذه الروايات إلى التحذير "من "تشيئة" الإنسان عن طريق التلاعب الجيني مثل رواية "أحسن العوالم الممكنة" لـ هاكسلي ١٩٣٢م" (بوزيتو، ٢٠٠٨، ص٩). وقد كان هذا قبل توصُّل العلماء إلى مرحلة استنساخ النعجة دوللي ١٩٩٧، وما رافقها من تخوُّف كبير وتحذيرات من مخاطر الإقدام على الاستنساخ البشري.في السياق نفسه، تأخذنا رواية "أنا الآخر" في رحلة مشوِّقة وغريبة من الخيال العلمي، تبحرُ بنا في العوالم النفسية لشخصية العالم

(سالم)، لتكشف خبايا وتجاوزاتٍ خطيرة في التجارب العلمية التي تجري خلف الكواليس في المختبرات السرية، تفضح الكاتبة من خلالها مخاطر إساءة استخدام العلم وتبعاتها السلبية على البشرية، دون أن تتطرف وتركن إلى الرأي الداعي "إلى إغلاق باب البحث في علوم الوراثة، بسبب المخاطر التي يمكن أن تنشأ عن تطور تجارب التحكم في الأجنة، مما يؤدي إلى التلاعب في صفات البشر"(حسانين، ٢٠٠٨، ص٢٠٧)؛ لأنه من المبالغة إنكار فضل علوم الوراثة وأهميتها في حال استمرت ضمن القنوات الرسمية وتحت رقابة أخلاقية، فالاستنساخ في عالم النبات مهم جدًا، ويؤدي إلى زيادة الإنتاجية بما يغطي حالات الفقر والجوع التي قد يعاني منها سكان كوكب الأرض في حال استمرار الزيادة السكانية، و"بعيدًا عن الأسئلة التجارية، يفتح الاستنساخ آفاقًا هامة لحماية التنوع الحيوي، المحافظة على الأنواع المهددة، وإنتاج حيوانات معدلة وراثيًا تُستخدم كنماذج لمعالجة أمراضنا، ولتشكل مصدرًا للأدوية والأعضاء لخدمة البشر" (روبير، تر: دهيبي، ٢٠١٥، ص٦٠)، فمجالات الاستفادة من هذا العلم لا حصر لها، ويأتي في مقدمتها توفير الأعضاء البشرية، وتحسين سلالات المنتجات النباتية والحيوانية؛ ما يجعلها أقدر على سد حاجات الجنس البشري. تسلط الكاتبة الضوء على ماضي البروفيسور (سالم)؛ ليس من قبيل الاستطراد والحشو، بل هو استذكار موظَّف بطريقة فنية انسيابية، يطلع القارئ على الأسباب التي أفضت إلى سلوكه العدواني وطريقة تفكيره غير السوية إنسانيًا، فالقارئ بحاجة إلى أن يقتنع بالشخصية وسلوكها؛ إذ من غير المنطقي أن يقدم إنسان بلغ أعلى درجات العلم والمعرفة على ارتكاب أعمال وحشية، "ويقال الآن إن السنين الأولى من حياة الإنسان وهو طفل هي التي تتكون فيها العقد النفسية. حيث يكون الجهاز النفسي مرنًا وقابلًا للتشكيل والطفل في مرحلة التكوين" (عفيفي، ١٩٨٠، ص٧٨). إن ماضي الإنسان يسيطر على تفكيره، ويتحكم في مصيره، والسنوات الأولى تحديدًا من حياته هي الأهم في تشكيل وعيه الفكري والشعوري، "يتأثر الطفل في أثنائها بشكل يصوغ شخصيته التي قد يحملها معه مدى الحياته، والتي تعكس نفسها دائمًا على مشاعره وعواطفه وأفكاره وسلوكه تجاه كل شيء، في جميع أطوار وجوده" (فرويد،، ٢٠١٨، ص٦)، ولعل هذا ما يفسر سر قسوة العالِم (سالم).وقد ذكر الإمام الغزالي قبل ألف عام في كتابه إحياء علوم الدين هذا الأثر المستمر لمرحلة الطفولة على بقية حياة الإنسان، عندما قال: "قلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عوّد الخير وعُلمه نشأ عليه... وإن عوّد الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك... بل ينبغي أن يراقبه [المربي] من أول أمره، فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا أمًّا صالحة متدينة تأكل الحلال" (الغزالي، ٢٠١٨، ج٣، ص٧٧)، وقد تشكلت شخصية العالم (سالم) على هذا النحو بسبب طفولته المعذبة التي عاشها مع عائلته الفقيرة في تلك القرية النائية؛ لذا نجده يعود إلى تلك الزاوية المظلمة في ذاكرته، يسترجع منها ما قُتِل في داخله؛ إحساسه بوجوده الإنساني، بعد إلحاح ابنه (شافي) عليه بدافع من الفضول في تعرف الماضي الغامض لوالده، ودون أن يطيل حكى معاناته منذ طفولته المبكرة وصولًا إلى سن الخامسة عشرة، كما لو أن تلك المعاناة حدثت البارحة، في حين أنه مضى عليها أكثر من أربعين عامًا:"...على مضض تقبَّل [والدي] وجودي، لا بأس فسوف يساند هذا الشاب في المستقبل العائلة الكهلة. بعد أن كبرتُ قليلًا لم يرقني شيء مما أنا فيه، لا بيتنا المتواضع، ولا أمي وأبي الأميين، ولا أخوتي ... وبما أنني أصغرهم، فعلي أن أساعد الجميع بكل ما يحتاجونه دون أن أظهر أي ملل أو تبرم، أما في داخلي فقد كنت قانطًا، كارهًا لنفسي وخنوعي ولهم أيضًا، ولكن ما كان هذا ليشغلهم، وما لمشاعري ووجعي إلا أن يبقى دفين صدري؛ لأن أحدهم لن يبالي" (بوماد، م.ن، ص٥٩).إذ لم يتوقع أحد ولادته بعد انقطاع والدته عن الإنجاب فترة طويلة، فكان يُسَخَّرُ لخدمة الجميع دون اكتراث منهم أو عناية بمشاعره، كلٌ يسعى لتحقيق مصالحه بأنانية؛ ما ولَّد لديه مشاعر حنق على بيئته الفقيرة المتخلفة وكل ما فيها، لكنه كان يكبتها؛ لأنه يدرك أن صوته لن يجد آذانًا صاغية لو صدح بالشكوى؛ لذلك نما لديه الاستعداد إلى التمرد على واقعه البائس، وهذا ما كان عند أول فرصة أتيحت له بالسفر مع أحد أقربائه، فكانت المنجى له من معاناته المستمرة من طفولته التي عاشها مسلوب الحقوق في أن يحيا حياة متوازنة مثل بقية الأطفال. "حزنت على ذاتي الراحلة إلى مستقبل غامض وسط موافقة عائلة لا مبالية بولدها ولا مشاعره ولا مستقبله ولا رأيه، وفرحت لخلاصي من كل ذلك الواقع المرير ولتحقيق حلمي بالسفر ومتابعة دراستي... والآن سيرمون بي بدمائهم الباردة في أحضان المجهول، ويبيعوني إلى ذلك الغريب من أجل حفنة نقود... بعد يومين أوصلوني إلى المطار، ودون دموع لوَّحوا لي بأيديهم، ثم أداروا ظهورهم وذهبوا، وبقيت أنا هناك وحيدًا... خمس عشرة ساعة في الطائرة كانت كفيلة بقتلي... خمس عشرة ساعة كانت كفيلة بولادة طفل آخر ممسوخ، أسهل ما يمكن أن يفعله أن يقتل نفسه دون رحمة "(بوماد، م.ن، ص٦٠-٦١-٦٢).ألقى باللوم على القدر، الذي سلبه – حسب رأيه– طفولته وحرمه الاستمتاع بتلك المرحلة، بل على العكس أمضاها في خدمة أسرته دون أدنى تشجيع أو دعم من قبلهم أو مراعاة لمشاعره.كانت علاقة (شافي) الابن بأبيه العالِم وطيدة، وقد كان ملهمه وقدوته ومثله الأعلى وصديقه الوحيد؛ لأنه في نظره عصامي

وصبور، وازداد إكبارُه له بعدما صارحه بماضيه التعيس، فأشفق (شافي) على أبيه ومعاناته في صغره وغربته، يقول في أبيه: "مسكين أبي، من لا يعرفه حقًّا يتصور أنه سفَّاح قاسٍ، غير أن هذه الحياة التي أرضعته قسوتها، وفطمته على سمها ونارها، من الطفولة المعذبة حتى الهجرة القصرية، مرورًا باغتصاب فكره وموت حبيبته، وصولًا إلى مسؤوليتي التي ألقيت على عاتقه منذ ولادتي حتى الآن، سحقًا لشقاء الحياة!" (بوماد، م.ن، ص٧٦). استطاع (سالم) بذكائه أن يصبح عالمًا كبيرًا في الهندسة الوراثية، لم يفتر عن المشاركة في المؤتمرات العلمية وتطوير مختبره باستمرار، أفنى فيه شبابه وجل حياته مكبًّا على البحث والاختراع بحثًا عن إكسير الحياة؛ حياة كفاح شاقة خاضها في طفولته المعذبة ضمن أسرة فقيرة، تعاني الأمية، وهمُّها الأكبر جمع المال، دون مبالاة بمشاعره وألمه النفسي، ورفضه ذلك الواقع المزري.يُضاف إلى ما سبق سببٌ آخر، ألا وهو تعرضه في غربته إلى التمييز العنصري والاضطهاد بسبب انتمائه العربي، كل هذا الظلم الذي مرَّ به أحدث تحولًا كبيرًا في شخصيته، وفجَّر في أعماقه نقمة عارمة على الكون وخالقه، فلما نجح في استنساخ طفل بعد سلسلة طويلة من التجارب الفاشلة، حدَّث نفسه منتشيًا بفرحة الانتصار: "لقد نجحت، إنه أول طفل مستنسخ يجتاز كل مراحل الحمل والولادة، ويصل إلى الحياة، إنه طفل البروفيسور كميل سالم، أين أنتم يا علماء العالم، هذا هو الطبيب العربي الذي حاربتموه بسبب انتمائه واسمه ولون بشرته، ها هو يثبت الآن أنه أفضل منكم جميعًا، وأقوى من القدر وإرادة الله التي حرمتني من أن أربي طفلًا معافى، انظروا جميعًا... جسده كامل وحواسه، طفل ذكر مستنسخ من بويضة ونواة خلية معدلة وراثيًا، ونتاج رحم حاضن" (بوماد، م.ن، ص١٧٣-١٧٤).عانى من النبذ وعدم قبوله بوصفه آخرَ مختلفًا عن ذلك النسيج الاجتماعي الذي انتقل إليه، فتضاعف شعور الغربة في نفسه، فقد تعاملوا معه بفوقية في المركز العلمي الذي كان يعمل به، ولم يعترفوا بإنجازاته العلمية، كما لم يجد من يتبنى موهبته ويدعمها، بل على العكس من ذلك لفَّق له بعضُ زملائه التهم، وتعرَّض للابتزاز؛ كي يتخلى عن مخترعاته لقاء مبلغ مالي كبير، وهذا ما اضطُر إليه بعد أن أُغلقت جميع الأبواب في وجهه، ليسافر إلى بلد آخر، ويعمل في الخفاء؛ فكل ما تعرض له أفرغه من محتواه الأخلاقي، وجعله يلحد بالإنسانية، ويتنكر حتى للخالق، ويتحداه في خلقه.تتسارع الأحداث عندما يكتشف (شافي) بالصدفة تلك الخزانة السرية، وتقع بين يديه مذكرات والده عن رحلته في الاستنساخ البشري، فيدفعه الفضول إلى قراءتها؛ ليتفاجأ بنعي والده له عندما ولد مريضًا؛ ما يفتح باب التساؤل هل سيكتشف أنه مات، ثم عمل والده على استنساخه لاحقًا؟ وتعزز شكُّه عندما تذكر في حينها تلك المرأة المسنَّة التي التقته منذ فترة قصيرة، وأخبرته أنها أرضعته عند ولادته، في حين أنه لم تطأ قدمه هذه البلاد إلا في الثالثة من عمره حسبما أخبره والده. بدأت الصورة المثالية التي رسمها لوالده تهتز وتتشوَّه في أعماقه، عندما قرأ في مذكرات والده كيف تجرد من المشاعر الإنسانية، وأقدم على ما لا يمكننا تصوُّره في رحلته تلك، فمن أجل الحصول على بويضة للاستنساخ أباح العالم (سالم) لنفسه الاعتداء على شرف من كنَّ يعملن عنده في الفيلا بعد أن أخضعهن للتخدير الذي وضعه في الشراب، لينتزع بويضة من رحم ممرضة ابنه (شافي) دون أدنى مبالاة بالتفاصيل البشعة واللاأخلاقية التي مرت بها هذه العملية، وكذلك فعل مع زوجة البواب بعد أن أرسله في مهمة سفر طويلة، ولما كانت حاجته للبويضات متكررة بسبب فشل تجارب التخليق، عمد إلى استدراج بنات الهوى؛ لينتزع منهن بنك بويضات دون علمهن بعد التخدير، كما أباح لنفسه الكذب على إحدى بنات الهوى مدَّعيًا أن البويضات لزوجته قبل أن تتوفى، فاستأجر رحمها لقاء مبلغ مالي كبير؛ ليتخلَّق فيه الجنين حتى يكتمل ويخرج إلى الحياة.لكن رحلة الاستنساخ كانت طويلة وشاقة، كلَّفت تلك المرأة أن تُزرع في رحمها عشرات البويضات التي تصل كل منها إلى مرحلة معينة، ثم تموت لسبب مجهول، وهذا ما تطلب أكثر من ستة أشهر حتى نجحت إحدى تلك البويضات في التخلق والاستمرار إلى أن بلغت أسبوعها السابع عشر؛ ليكتشف العالم أن الجنين مسخٌ بشري، فتخلص منه بوحشية في المطحنة البشرية كما لو أنه فأر تجارب، بعد أن أجهض تلك السيدة، ولم يكن لديه أدنى تردد من رمي الأم نفسها وطحنها في حال حدث لها مكروه في أثناء الحمل أو وضع الجنين.اكتملت الصورة البشعة لوالده في نفسه عندما عثر في الخزانة السرية على مجلد صور بعنوان "تهجين الجنس البشري"، فقرأ وصف تلك التجارب الوحشية لتهجين الإنسان مع الحيوان، موثقًا ذلك كله بالصور البشعة تحت مسميات تعبِّر عن طرفي الاستنساخ، حسب ما تنتمي إليه الخلية والبويضة والرحم، ذاكرًا نسبة الشبه من الإنسان، وأخيرًا تاريخ الإعدام في المطحنة البشرية، مثل (الطفل القرد، الطفل الفرس، الطفل النعجة...) من ذلك:"بويضة كلب أنثى، حيوان منوي بشري، رحم نعجة: ٤٠٪ إنسان.. جسد كلب أطراف بشرية، رأس نصف بشري، أذنان كبيرتان في مقدمة الوجه، ولد بعد ستة أشهر، وأعدم بنفس التاريخ، في آلة الطحن" لم تقوَ ساقاه على حمله أكثر من هذا، عاد بنظره إلى تلك الآلة، وتخيل كم طحن فيها من أرواح ممسوخة حلَّت بأجساد مشوَّهة، وكم سالت من الدماء مع ذلك الماء، وفي تلك الأنابيب، كم علقت بقايا عظام وأشلاء، وكم أزهقت أنفس لا تدري لماذا وكيف وبأي جسد حلَّت، ولماذا أعدمت؟!" (بوماد، م.ن، ص٣٣٩)فنتائج العلم تكون كارثية عندما يتحول العالِم إلى كائن مفرَّغ

من المشاعر الإنسانية يضارع الآلة، ينظر إلى الإنسان على أنه سلعة أو منتج يسعى إلى تطويره وزيادة فاعليته وإنتاجيته، بصرف النظر عن الضريبة الأخلاقية. حرصت الرواية على إخفاء حقيقة شخصية (شافي) الابن وتفاصيل ماضيه على القارئ وشخصيات الرواية أيضًا؛ حرصًا على مبدأ الغموض والتشويق من ناحية، ولكي تصدم القارئ عند نهاية الرواية بعدما عايش هذه الشخصية، وتعاطف معها ومع قضيتها في مناهضة الظلم الواقع على الأجنة التي تُستنسخ، لكن حقيقته الصادمة تتكشف في نهاية الرواية عندما واجه (شافي) والده العالِم (سالم) بجميع جرائمه التي ارتكبها، فاضطر الأب إلى الاعتراف كنوع من الانتقام من (شافي) نفسه عندما سأله عن ابن (مادلين) المرأة التي استأجر رحمها لإتمام عملية الاستنساخ، فكان ردُّه:"أنت طفل مادلين الذي تبحث عنه، هل فهمت الآن؟ هل ستستوعب هذه الحقيقة؟ لقد استنسختك من خلية [...] هل تفهم؟ أنت مستنسخ ومعدَّل وراثيًا. أنت مجرد خلية [...] أنت صنيعة يدي، أنا من أعطاك الحياة وأعطاك كل شيء لتصبح ما أنت عليه" (بوماد، م.ن، ص٣٩٢).فالمستنسخ سيبقى بلا هوية حتى بالنسبة إلى أقرب المقربين، يُنظر إليه بدونية واستصغار؛ لأنه ببساطة من صنيعة البشر، فكيف له أن يرقى إلى منزلة صانعه؟ لن يشعر بالانتماء الذي تعارف عليه البشر، فهل يُنسب إلى البويضة التي تخلَّق فيها، أو الرحم التي حملته، أو المربي الذي أنشأه، أو إلى صاحب الخلية؟ يتفاجأ (شافي) أنه كان ضحية استنساخ من خلية لأخيه المريض، بعد تجارب عديدة من الاستنساخ نتج عنها أطفال مشوهون اضطر العالِم (سالم) إلى قتلهم دون رحمة للتخلص منهم، وأنه ابن (مادلين) من رحمها فقط، وعندما سأل (سالم) عن مصير أمه (مادلين) التي اختفت فجأة، صعقه بالقول:"ليست أمك، إنها فقط رحم حملك إلى الحياة، أنت لا أم لك ولا أب ولا جذور، ولماذا تريدني أن أتقيد بقانون ودين يحجران على العلم والعلماء؟ ولماذا لا أستنسخ؟ وها هي دول العالم الكبرى تستنسخ جيوشًا لها في الخفاء، بمختبرات سرية. جنود ليست لهم عائلات تبكيهم وتطالب بحقوقهم، يصنعونهم كما يشاؤون، بالمقاييس التي تناسبهم، يزرعون فيهم ما يريدون من مبادئ وإجرام، ويرسلونهم إلى الحروب والموت دون أن يحاسبهم أحد على ذلك" (بوماد، م.ن، ص٣٩٣).

بهذه الاعترافات تتبدى أكثر الموانع الأخلاقية لعمليات الاستنساخ، ومن أخطرها أن يُصنع الإنسان المستنسخ في المختبرات السرية لغايات سياسية وعسكرية؛ كي يكون مجردًا من إنسانيته، مسيَّرًا كآلة قتل وتدمير في الحروب التي يشنها الإنسان على أخيه الإنسان.

وعندما ألحَّ (شافي) في السؤال عن مصير والدته مادلين، أخبره سالم:

"- قلت لك إنها ليست أمك، أنت نتاج بويضة عاهرة ورحم عاهرة أخرى.

- توقف عن هذا الهراء وأجبني أين هي؟ فورًا.

ضحك بهستريا وتملكه جنون العظمة والكبرياء، وهتف بفخر:

- تريد أن تعرف أين هي؟ لقد طحنت هذه الآلة أجزاءها التي قطعتها بيدي هاتين" (بوماد، م.ن، ص٣٩٤).

فقد حصل العالِم (سالم) على البويضة التي استُنسِخ منها (شافي) من إحدى بنات الليل، واستأجر (مادلين)؛ لتحمل به مقابل مبلغ مالي كبير رفضته لاحقًا، وأرادت أن تعمل خادمة بقية عمرها له ولـ (شافي) عند ولادته مقابل أن يبقيها مع ابنها من رحمها، لكنه رفض، بل بلَّغ عنها الشرطة أنها سرقت مبلغًا ماليًا كبيرًا؛ كي يمنعها من دخول البلاد مرة أخرى بعد سفرها.عندما قرأ (شافي) مذكرات العالم (سالم) بالصدفة واكتشف الحقيقة، سافر إليها سرًّا في بلدها وتوصل إلى أمها التي أخبرته أنها بعد عودتها من السفر، كانت مصابة باكتئاب شديد لازمها طيلة العشرين عامًا لم تعرف سببه، منعها من الزواج وتكوين أسرة، لكن الحياة دبَّت في جسدها، وعادت الابتسامة إلى وجهها عندما اتصل بها أحدهم يدعوها إلى العودة إلى العمل. لكن الحقيقة التي غابت عن مادلين وأمها أن العالم (سالم) لما عرف بالصدفة أن (شافي) اطلع على المذكرات، وقد يتوصل إليها، اتصل بها يوعدها أن يجمعها بابنها؛ كي تمضي ما تبقى من عمرها معه، فسافرت على الفور؛ ليكون حالها حال من كانت منيّته في أمنيته!لم تكن النهاية مأساوية لـ (مادلين) فحسب، بل أيضًا شملت (شافي) والعالم (سالم) بعدما انتهت جولة الاعترافات التي أدلى بها الأخير، فقد نشب فجأة حريق في المختبر، وعندما سألت (مايا) المحقق عن مصير حبيبها (شافي) أخبرها: "وجدنا جثتيهما عالقتين داخل آلة غريبة كانت موجودة هناك، وقد طحنت بعض أجزائهما، قبل أن تتوقف بسبب احتراق محركها، الذي أدى بدوره إلى اشتعال الأسلاك الكهربائية، وامتداد النار إلى أنابيب الغاز ومستودع الوقود الموجود هناك في المخزن" (بوماد، م.ن، ص٤٠١).نهاية مأساوية رسمتها الكاتبة لأبطال الرواية، أرادت منها أن توصل رسالة مؤدَّاها "ما بني على باطل، فهو باطل"، فإنهاء حياة (شافي) بهذه الطريقة البشعة، لم يكن المقصود به القضاء على ذلك الشاب اللطيف الرقيق المحب، الذي تعاطفنا معه، وارتبطنا شعوريًا به، بل مثَّل فكرة الاستنساخ البشري التي لا ينبغي لها أن ترى النور. وعطفًا على ما سبق ذكره[5*]، فقد صَدَقَ (الحلمُ) الذي رأى فيه (شافي) يدي

رجل كهل يريد الانقضاض عليه لخنقه؛ ليتحقق الحافز التأليفي الذي زرعته الكاتبة في افتتاحية الرواية. أما (مادلين) من وجهة نظر فنية، فقد كتبت الرواية نهايتها بوصفها طرفًا من عملية الاستنساخ البشري، بصرف النظر عن كونها ضحية استغلال، تسامت على المال، وخسرت حياتها حبًّا لابنها من رحمها، وحتى المختبر الذي شهد ولادة فكرة الاستنساخ البشري وإزهاق عدد كبير من الأرواح المستنسخة والمشوهة، أُحرِق احتجاجًا على الفكرة نفسها، أما شخصية البروفيسور (سالم)، فقد مثَّلت كلَّ عالم تأخذه العزة بالإثم، فيتجاوز الخطوط الحمراء في تجاربه وأبحاثه، غير مبالٍ بالضريبة الأخلاقية التي ستدفعها الإنسانية، إنه يمثِّل كل من يمتطي العلم لتحقيق مجد شخصي بصرف النظر عن تبعاته، فقد أباح لنفسه الخروج على طريقة الخلق الطبيعية الرحيمة للبشر التي أوجدها الخالق، بأن عمد سرًّا إلى استنساخ بشري دون أدنى شعور بتأنيب الضمير تجاه الأجنة المشوهة التي فشلت تجاربه الأولى في تخليقها، فكان يزهق أرواحها، كما لو كانت فئران مخابر، يسارع إلى التخلص منهم بوحشية لا يسوغها غير أنانيته. وبهذه النهاية فقد تخلصت الرواية من كل ما له علاقة مباشرة بعملية الاستنساخ البشري (شافي، ومادلين، والعالم، والمختبر).بعد أن سلط البحث الضوء على تبعات إساءة استخدام العلم في المسار الأول للرواية الذي يتحدث عن الاستنساخ البشري من خلال قصة حيوية حية، أسرتنا فيها جمالية السرد، وأحزنتنا أحداثها ومآلاتها المأسوية، بعد أن عايشنا شخصياتها كما لو كانت حقيقية من لحم ودم، ننتقل إلى المسار الثاني من الرواية، وإلى معاناة إنسانية جديدة لا تنفصل عن الأولى بالرغم من اختلاف موضوعها، ألا وهو قصة شاب اسمه (نعمة) يعاني الاضطهاد والظلم الاجتماعي بسبب إصابته بالتوحُّد، فالقصتان متداخلتان في الرواية، ولكني آثرت الفصل بينهما ظاهريًّا استجابة لمقتضيات المنهجية العلمية.

٢- تقبُّل الآخر المختلف :(Tolerance)

إن افترضنا أن الحاجة إلى مسألة قبول الآخر في مجتمعات اليوم تغدو ملحَّة، لما يسببه غيابها من نزاعات باردة أو ساخنة، ظاهرة أو مضمرة، محليّة أو دوليّة، نفطنُ أن مجتمعات الماضي منذ بدء الخليقة على كوكب الأرض، لم تسلَم هي الأخرى من كراهية الآخر، ولعلها كانت في بعض مراحلها أحوج إلى ثقافة قبول الآخر منا في حقبتنا الراهنة، فالحاجة الملحة إلى قبول الآخر الآن حقيقة لا أحد ينكرها، ولكنها لا تكتمل إلا في ضوء استقراء حاجة مجتمعات الماضي إليها مرورًا بالحاضر وصولًا إلى المستقبل. حسب المعطيات الراهنة وما يشهده العصر من انتشار خطاب الكراهية، فإن الأمل بانحساره يغدو ضئيلًا على المدى المنظور، إن لم تتضافر الجهود لمحاربته، وإن كانت بعض الدول المتقدمة _وليست كلها_ قد قطعت أشواطًا في قبول الآخر والاندماج معه، دون أن يعني هذا أن الأمر مرهون بمدى التطور الحضاري الذي يميز دولة ما، ولاسيما بعدما شهدته دولة عظمى ومتطورة مثل أمريكا مؤخرًا من احتجاجات واسعة ضد التمييز العنصري بعد الحادثة المشهورة لمقتل المواطن الأمريكي (جورج فلويد). تدرك كاتبة "أنا الآخر" هذه الحاجة، فتدعو إلى فهم الآخر وتقبل الاختلاف؛ فهو سنة الله تعالى في أرضه وخلقه، فقد قال في محكم التنزيل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحُجرات:١٣] فالاختلاف من جماليات الحياة ونِعَمِها وخيرها، وليس شرًا عليها وعلينا، فقد أوجده الخالق لنتعارف ونتكاتف، لا لنتناكف. كما أن التسامح وقبول الآخر والتجاوز عن أخطائه وعثراته فضيلة دعت إليها الديانات الإبراهيمية الثلاثة، ومما جاء في الإنجيل: "أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ" [إنجيل متى-إصحاح ٥:٤٤)، إن مثل هذا المبدأ السماوي السامي، من شأنه أن ينقِّي نفوسنا، ويجعلنا أقدر على تقبل الآخر والتعايش معه، بالمقابل سيجعل الآخر يغير من سلوكه بعدما يلتمس دعوتنا إلى السلام، أو على الأقل يكف أو يخفف من عدوانه، فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤].تجدر الإشارة إلى أن مفهوم الآخر لا يقتصر على ذلك الأجنبي الذي لا ينتمي إلى مجتمعنا فحسب، بل يشمل كل من يختلف عنا فكريًّا أو دينيًا أو عِرقيًّا... وحتى الاختلاف في التكوين الجسدي أو المستوى العقلي، كما قد يكون الاختلاف على مستوى الفرد ضمن نسيج المجتمع الواحد، وهذا تحديدًا ما تركز عليه هذه الرواية من خلال شخصية الشاب (نعمة) الذي يُعدُّ أنموذجًا ملهمًا للمجتمع وللآباء تحديدًا الذين يعانون؛ كي يتحدوا إصابة أبنائهم بالتوحد، إنه يذكي الأمل في نفوس الآباء، ويجعلهم أكثر إصرارًا على بذل المزيد من العناية بأبنائهم المتوحدين ومتابعتهم؛ كي يتميزوا ويتخطوا معاناتهم في المجتمع، وهذا ما تخبر به (مايا) ابنة مدير المعهد الذي يعمل فيه:"أتعرف يا نعمة كم طفلًا متوحدًا ينظر إليك كخشبة خلاص لما يعانيه؟ أتعرف عدد الأباء والأمهات الذين جعلتهم يحلمون بمستقبل جميل لأولادهم المتوحدين بعد يأس وقنوط؟ لقد جعلتهم يحاربون من أجلهم ويؤمنون بهم رغم قسوة المجتمع والظروف عليهم، أتعلم كم أمتعت نغماتك نفوسًا حزينة فاقدة للأمل؟ ... أعرف أن هذا الحمل ثقيل عليك، لكن جميعنا معك، ولن تكون وحيدًا، جميعنا إلى جانبك، جميعنا نحبك" (بوماد، م.ن، ص١١٢).يجسّد (نعمة) الأمل للمصابين بالتوحد ولذويهم، إنه دعوة إلى عدم

اليأس، والاستمرار في دعم أمثاله وتشجيعهم؛ لأنهم يمتلكون إمكانات خاصة، وباكتشافها والعمل على تنميتها يمكن أن يصبحوا أشخاصًا فاعلين في المجتمع.كانت (مايا) الشخصية الداعمة الأثيرة التي احتوت (نعمة)، وتعاطفت معه، واستمرَّت في تشجيعه ودعمه، لكنها لم تكن الوحيدة، فمجتمع المتخيل الروائي مثل مجتمع الواقع الفعلي حافل بأمثالها، وسوف تصادفنا شخصية والدها الأستاذ الذي آمن بإمكاناته ورعاها، و(ملاك) المربية التي تبنته منذ كان طفلًا، وصولًا إلى معظم زملائه في معهد الموسيقى. فشخصية والدها الأستاذ تجسِّد فكرة قبول الآخر، عندما استقبله في معهده، ودافع عنه، ودعا إلى الأخذ بيده والاعتراف بموهبته، مع أنه لا يمت إليه بأيّ صلة. وبالرغم من الحضور المحدود لأستاذ (نعمة) في الرواية، إلا أن أثره كان فاعلًا في توجيه (نعمة) ومساعدته ودعمه، من ذلك عندما خاطب ابنته (مايا) كيف تتعامل هي و(ملاك) و(شافي) مع (نعمة) بكلام نشعر أنه يخاطب به المجتمع كله، يحثه ويبين له الطريقة المثلى في التعامل مع (نعمة) وأمثاله ممن يحتاج عناية خاصة، إذ يقول:"عليه أن يقوى بنفسه ويحميها، وعليكم أن تعلموه هذا كما عليكم أن تحترموا خصوصياته أحيانًا وأن تثقوا به، لا تتابعوه كالأطفال، هذه الحماية بقدر أهميتها من الممكن أن تؤذيه من جهة أخرى وتجعله مخلوقًا جبانًا متخاذلًا، سيتضخم ويتنامى ضعفه وتُطمس ملامح قوته التي يحاول أن يبنيها حجرًا بحجر، يومًا بعد يوم، ربما أسلوب التوجيه والمراقبة من بعيد هو الأجدى في حالته" (بوماد، م.ن، ص٢٦٢-٢٦٣). فمما لا ينتبه إليه بعض الناس الداعمين لـ (نعمة) وأمثاله من ذوي الاحتياجات، أنهم وبدافع من فرط الحب والتعاطف والخوف عليه، يكثرون من العناية والدعم والإحاطة به بطريقة قد تخنقه، وتكبِّله، وتمنعه من القدرة على الانطلاق وتطوير نفسه، فلا يستطيع الاعتماد على ذاته عندما يكبر؛ لأن هناك دائمًا من كان بجانبه ينجز عنه حتى أدنى مهامه وأعماله، فلا يعرف ولا يمتلك فرصة معرفة كيفية اجتياز أبسط الشؤون الحياتية وإنجازها، إذن هو يحتاج بعض المساحة التي يتحرك ضمنها، ويجرب بنفسه لينميها. كما أن الانشغال عنه كليًّا دون إشراف وعناية قد يؤدي إلى تدهور حالته، ويصعِّب عليه مواجهة المجتمع، ويؤثر سلبًا في قدرته على إدراة حياته كأي إنسان طبيعي.تحاول الرواية الغوص في أعماق المصاب بالتوحد، وعوالمه النفسية، لتدهشنا بطريقة تفكيره وإحساسه الفريد بالعالم من حوله، على نحو لم نكن ندركه سابقًا فيمن نصادفهم من أشخاص بمثل حالته؛ ليتبين أنه ليس حالة مرضية مستعصية على العلاج والتطور كما قد يبدو لكثيرين، ولا يختلف كثيرًا عن الأشخاص الأسوياء من حيث القدرة على التفكير والإحساس، وبمثل هذا تصف (مايا) حال مصابي التوحُّد من أمثاله، إذ تقول:"أتعلم أن هؤلاء الأشخاص لديهم من الذكاء ما ليس لسواهم، ومن الحب والعطف والحنان ما لا يملكه الآخرون؟ وتراهم لا يعمدون إلى إظهار مشاعرهم تلك خوفًا من رفض الآخرين لهم، فشلٌ يخافون دائمًا مواجهته" (بوماد، م.ن، ص٦٩).فمن الظلم الاجتماعي أن يتعرضوا إلى النبذ أو الإهمال والإعراض من المجتمع، وأحيانًا من الأهل؛ فقط لأنهم يختلفون عن الآخرين في طريقة إدراك العالم من حولهم، علمًا أن أحدهم قد يتفوق في قدرته على التركيز والحفظ والحساب والتذكر، وإن كان يفتقر مهارات التواصل الاجتماعي؛ إذ يريحه اللجوء إلى عالمه الداخلي مع نفسه دون كلام؛ بسبب قلة قدرته على التعبير والإفصاح عمَّا تضجُّ به أعماقه من مشاعر وأحاسيس وأفكار نوعية قد يعجز عنها الناس الطبيعيون.بالمقابل تحرص الرواية على عرض الأنموذج السلبي لأشخاص يحاربون عن عمد أو جهل هؤلاء المصابين بالتوحد، ينظرون إليهم بعدائية، ويرونهم أقل منهم شأنًا، وربما يحسدونهم على الرعاية التي يمنحهم إياها المجتمع، فيحاولون تدميرهم والانتقاص من قدراتهم، وعرقلة مسيرتهم نحو تطوير ذاتهم، أشخاص يعانون قلة الوعي، ولا يدركون مدى الحاجة الملحَّة لدى المصابين بالتوحد إلى الدعم والرعاية والتشجيع المعنوي، عن مثل هؤلاء تروي (ملاك) عن سوء معاملتهم، عندما عمل معهم أحد رفاق (نعمة) المصابين بالتوحد: "... وبعد أن أمضى سنوات طويلة يحارب مشكلته إلى أن أتم دراسته في هذا المجال، عاد منذ أيام إلى البيت، يعاني حالة نفسية صعبة وآثار المرض والإرهاق بادية عليه، عندما نزعت قميصه وجدت جسده مليئًا بالحروق، صعقني المشهد، لم يشأ أن يخبرني في البداية ولكن بعد محاولات عديدة قال لي إن عمال المصنع يضطهدونه ويسخرون منه رغم أن تحصيله العلمي أفضل منهم جميعًا، وبعد صمته حيال هذه المعاملة اللاأخلاقية خوفًا من خسارة فرصة العمل تلك، وتأكدهم من عدم قدرته على المواجهة، أو رفع الظلم عن نفسه، وظَّفوه خادمًا لهم، حتى وصل بهم الأمر إلى حدِّ تعذيبه، فراحوا يطفئون السجائر في جسده ويحمِّلونه مهام الأعمال الشاقة التي تفوق قدرته على تحملها..." (بوماد، م.ن، ص١٥٠-١٥١). يتصف المصاب بالتوحد بالإحساس المرهف وقابلية التأثر، ولعل موقفًا مسيئًا من هذا النوع يهدم سنوات من العمل الشاق على تأهيله لمواجهة المجتمع والاندماج فيه، ولاسيما أنها شخصية كتومة ومسالمة ويحاصرها الخوف من المجتمع، فلا تبدي ردات فعل عدوانية تجاه ما تتعرض له من ظلم واضطهاد، وتحتاج من يدافع عنها باستمرار، ولكن المشكلة تكمن في فئة من المجتمع لا تتفهم هذه الحالة، بل على العكس تستغلها لتمارس عليها عقدها السادية، وهذه الحقيقة تقررها (ملاك) الموظفة في مركز التأهيل التي تبنت (نعمة)، وأشرفت على تربيته حتى كبر: "فهذا المجتمع المريض

الذي يتهم كل مختلف عنه بالمرض، يعتبرك أدنى منه مستوى ومثيرًا لشفقته ولا تستحق حتى شرف المنافسة ولا التقدير لإنجازاتك" (بوماد، م.ن، ص٥٢). مثل هذه المعاملة القاسية غير الواعية من المجتمع للمصابين بالتوحُّد أمثال (نعمة) تسلبهم الثقة بالنفس، كما أن مطالبتهم بتحمل المسؤوليات أسوة بسواهم من الأشخاص الطبيعيين والتعامل معهم على هذا الأساس دون التدرج في ذلك، يحمِّلهم فوق طاقتهم أيضًا بما يعيق تطورهم التدريجي، إن ما تحتاج إليه هذه الفئة هو التشجيع والدعم وعدم إشعارها بالنقص...، أن ننظر إليها نظرة رحمة لا شفقة، وأن نقبل اختلافها أيًّا كان؛ لأنه ليس من اختيارها.تصادفنا شخصية أخرى معادية يمثلها (مازن) زميل (نعمة) في المعهد الموسيقي، الذي كان يشعر بالغيرة منه بسبب الحفاوة التي كانت تعامله بها (مايا) ووالدها وزملاؤه الآخرون؛ لذلك كان دائمًا يحاول مضايقته، وتحطيمه، من ذلك عندما اعترض طريقه ذات مرة قبل أن يعتلي المسرح؛ ليقدم معزوفته الأولى أمام الجمهور، فقال له:"نعمة، لن تفلح! وستنهار، فما أعرفه أن مرضك سيمنعك من الوقوف أمام هذه الأعين المفتوحة والأيدي المصفقة، ستسقط هناك يا نعمة، أمام كل تلك الجماهير ستكون بدايتك ونهايتك، وتلك الموسيقى التي سينحني لها الجميع، والتي تعتقد بأنك أبدعتها، إنها لا شيء، يقدرونها فقط لأنها كتبت من قبل إنسان مريض متقوقع مثلك، حتى اهتمام مايا ووالدها بك لا يتعدى حدود الشفقة، لو كنت مكانك لما صعدت المسرح" (بوماد، م.ن، ص١٢٧).

يجسِّد مازن الشخصية المعادية في المجتمع لأمثال (نعمة)، يلعب على الوتر الحساس ألا وهو الجانب المعنوي، فيحاول بكلامه الجارح الجازم أن يزرع الخوف فيه؛ ليزعزع ثقته بنفسه، ويثنيه عن متابعة نجاحاته دون أن يدرك أو يقدِّرَ مقدارَ الجهد الذي بذله ومن معه، والسنوات الطويلة التي أمضوها في تأهيله حتى بلغ هذه المرحلة.تستمر الرواية بتشخيص حالة (نعمة) نفسيًا واجتماعيًا، مصوِّرةً الظلمَ الذي يتعرض له بسبب جهل العامة بحالته، أو لقلة اكتراثهم بالجوانب النفسية في أثناء التعامل معه، وتستمر مشاعر العداء التي يضمرها (مازن) له؛ إذ كان يغار من نجاحه وتفوقه عليه، وتزعجه الحفاوة التي يتلقاها من صاحب المعهد وابنته الشابة (مايا)، فكان يسعى إلى التخلص منه، لكن (مايا) علمت بالأمر، فطلبت من والدها طرده من المعهد، ففاجأها بالقول: "لن نحارب الكراهية بتفعيل دورها وتنميتها، بل سنحاربها بالتفهم والمحبة... إن خرج من هنا بسبب ما فعل، سيصبح أكثر حقدًا وعدائية، ومن الممكن أن يدمِّر آخرين كنعمة وأمثاله، إن قبول الآخر واحترامه لا يُعلَّم يا مايا، إنه إحساس يجب أن يُنمَّى داخل المجتمع وأفراده بآلاف الطرق وهذا دورنا، ننميه من خلال تفعيل المشاركة والتسامح والمحبة، من خلال الموسيقى، والأدب، والشعر، والرسم، تلك الفنون التي هي روح الحياة والتي تلهب عواطف البشر أكثر من العنف والشر المضاد" (بوماد، م.ن، ص٢٦٢).بمثل هذه النبرة تُحارب الرواية خطابَ الكراهية، وتدعو إلى التسامح وقبول الآخر من خلال شخصية الأستاذ، ليتقرب بلفلسفته هذه وثقافته في قبول الآخر من منظور الكاتب ميلاد حنا في كتابه قبول الآخر؛ إذ يرى أنه "أمر مفيد لكل منا، ويستطيع أي فرد أن يطور نفسه حتى يكون قابلًا للآخر، وسيجد كيف أن لهذا مردودًا هائلًا بالنسبة له، إذ سيجد أنه هو نفسه "مقبول لدى الآخرين" طالما أنه مارس فكر وثقافة "قبول الآخر"، فالحب معدٍ كما أن الكراهية معدية" (حنا، ١٩٩٨، ص١٤)، فأكثر ما تعانيه مجتمعات الماضي والحاضر رفض الآخر المختلف، سواء ضمن نسيج المجتمع نفسه، أم مع المجتمعات الأخرى المغايرة، ولا نبالغ إن قررنا أن كراهية الآخر أصل الشرور التي تعانيها البشرية من حروب وقتل وتدمير.

يمكن وصف مازن بالشخصية النامية[6]* في الرواية؛ لأنها كانت قابلة للتغير والتطور نحو الأحسن، ويعود الفضل في ذلك إلى أسلوب اللطف لا العنف الذي اتبعه الأستاذ في ردعه عن أذية (نعمة)، فأسلوبه الإنساني المتسامح دعا (مازن) إلى أن يراجع نفسه، ويعتذر من (نعمة) بدافع من الشعور بتأنيب الضمير، وعندما استغرب (شافي) هذا التحول المفاجئ في شخصية (مازن) أجابه نعمة: "البعض يولدون أشرارًا والبعض يلبسون ثوب الشر ردًا ليحتموا به من قسوة الحياة، البعض يطيب لهم فيعتنقونه، وآخرون يجدونه فضفاضًا ومزعجًا ويفضلون العري عليه" (بوماد، م.ن، ص٣٥٧).في إشارة منه إلى أن الشر لم يكن متأصلًا في (مازن)، ولكنه احتاج من يوعيه ويوقظه، فكانت تجربة التنمر على (نعمة)، وتعامل الأستاذ مع الموقف بطريقة حسنة، فقد نبَّه (مازن) إلى فداحة الخطأ الذي كان يقدم عليه.إلا أن الظلم الأقسى والأكبر الذي تعرض له (نعمة)، هو رميه في مركز التأهيل للمتوحدين، دون أن يعرف أصله، ليعيش قهرًا مضاعفًا من المجتمع الذي استغل إصابته بالتوحد، ومن أسرته التي رمت به دون أن تسأل عنه على مدى عشرين عامًا، وعندما سمع (شافي) بظروفه عن طريق (مايا) التي لفتها الشبه الكبير بينهما، أصر أن يساعده في معرفة أصوله، ليتفاجأ بعد بحث طويل أن العالم (سالم) هو من أودع (نعمة) في المركز، عندما واجهه (شافي) بهذه الحقيقة صائحًا في وجهه:

"– كفاك كذبًا، أي نوع من البشر أنت؟ من أي الكواكب أتيت؟ ولماذا فعلت بنا هذا؟

رد بحدَّة:وماذا تريد مني أن أفعل؟ وكيف لي أن أحتفظ بطفل معاق وأنا أبكي أمه؟ نعم أنا من سلمه إلى المركز، لم يكن من السهل علي أن يقول الجميع إن للبروفيسور سالم طفلًا مُعاقًا، كيف لي أن أحتفظ به؟ بعد وفاة أمه تدهورت حالته الصحية، أدخلته المركز وتركت له النقود ليعتنوا به" (بوماد، م.ن، ص٣٩١).تتكشف حقيقة (نعمة) الابن الحقيقي للبروفيسور (سالم)، الذي رأى في سعيه نحو التوصل إلى اختراع إكسير الحياة ما يسوغ له التضحية بمئات الأرواح البشرية المستنسخة دون أن يقيم وزنًا للمشاعر الإنسانية والعواطف، لذلك ألقى ابنه وحيدَهُ في مركز التوحد دون أدنى شعور بتأنيب الضمير؛ لأن ما يهمه فعلًا أن يحقق طموحاته وإنجازاته العلمية دون أي اكتراث بالجوانب الإنسانية. بالمقارنة بين شخصيتي العالم (سالم) والأستاذ، نتفاجأ بالفجوة التي يعانيها بعض النخبة في المجتمعات، فقد يبلغون أعلى درجات العلم والمعرفة، لكنهم يفتقرون إلى الوعي الاجتماعي والإنساني، كشخصية البروفيسور الذي آمن بالعقل وألَّهه، وتجاهل العواطف وسفهها. في حين نجد شخصية الأستاذ الذي لطَّف الفنُّ روحَه، وجعلَه يشعرُ بالآخرين، ويدعو إلى تقبُّلهم جميعًا، المذنبِ منهم والضحيةِ، على مبدأِ رسولنا الكريم: "أعِنْ أخاك ظالِمًا أو مظلومًا" (صحيح بخاري، ص٥٩١)، فقد ساعد (مازن) على نفسه، وحمى (نعمة) منه.وعليه، سلطت الروائية الضوء على هذه الموضوعات الإنسانية بطريقة فنية جاذبة، تأخذنا إلى أعماق الشخصيات، وتجعلنا نعيشها كما لو كانت واقعًا، وبخيالها غير المنفصل عن الواقع رسمت لنا عوالم هذه الشخصيات، فجعلتنا نتعاطف معها، ونتأثر بمشكلاتها، ونستشعر معاناتها، ونعرف حقيقتها الغائبة، بما ينمِّي الدافع لدينا إلى الأخذ بيدها في المجتمع، وبمثل هذا يسهم الفن الروائي في النهوض بالمجتمعات بطريقة راقية.

نتائج وتوصيات:

١- من وجهة نظر فنية، اكتنزت الرواية بأساليب متنوعة من أبرزها: التحفيز التأليفي، الإجابات المعلقة، الإيحاء، الأسرار، الغموض والتعمية، التصوير المشهدي، الترهين السردي...إلخ، وكانت هذه الأساليب ناجعة في خلق جو من الإثارة والتشويق يسهم في تحفيز خيال المتلقي، واستدرار فضوله واستدراجه لتتبع خيوط السرد، بحثًا عن إجابات للأسئلة المفتوحة التي طرحتها افتتاحية الرواية.

٢- عرضت الرواية جانبًا مهمًّا في الحياة ألا وهو إساءة استخدام العلم ومخاطره على البشرية، وقد حرصت على عنصر الإقناع والإيهام بالواقع في رحلة الاستنساخ البشري، من خلال التجوُّل بنا في دهاليزه العجائبية، والتغلغل في تفاصيله الخطيرة، والتوغُّل في أعماق شخصياته وتسويغ سلوكاتها السوية والمرضية على حد سواء، بما عرضته من مقدمات منطقية تفضي إلى تلك النتائج، إلا أنها لم تُوفَّق في مجانسة زمن الرواية مع فكرتها المستقبلية.

٣- تمثِّل هذه الرواية بوصفها رواية خيال علمي إنذارًا مبكرًا للعالم؛ إذ تستقرئ الواقع الموضوعي بكل ما يحمل من فرضيات واحتماليات واقعية؛ لتخلق حيوات مستقبلية تضجُّ بالحيوية، تحاول من خلالها الانتقال بالمتلقي في الزمن إلى عالم آخر عجائبي متخيل، لا يخلو من مسوغات وجوده؛ لتتنبأ بالمخاطر التي قد تهدد وجود البشرية وإنسانيتها، وتنبه إليها مثلما جرى في الكشف عن تبعات الاستنساخ البشري في هذه الرواية.

٤- تثمِّن هذه الرواية المشاعر الإنسانية، وتعلي من شأنها، وتؤكد على ضرورة العناية بها وتنميتها؛ إذ بها تسمو البشرية وتزدهر، وبدونها تتقهقر وتندثر؛ فالمشاعر الساخطة التي نبتت في أعماق العالم (سالم) منذ صغره، غيَّبت ضميره عن الجرائم التي ارتكبها بحق الإنسانية في سبيل إشباع هوسه بتجارب الاستنساخ البشري التي كان يجريها في الخفاء، بالمقابل كانت مشاعر الحب التي حظي بها (نعمة) من المقربين، الأساسَ في تنمية إحساسه بذاته وثقته بنفسه، وأعانته على تجاوز معاناته وتحقيق التميز، في حين كانت مشاعر العداء قبل ذلك تجرُّه نحو الأسفل، وتحطمه، وتدمر مستقبله.

٥- نجحت الرواية في نسج النهايات المأساوية لأبطال الرواية، والترميز من خلال موتها إلى ضرورة منع تجارب الاستنساخ البشري أن ترى النور، فإذا كان قارئ الرواية قد صدمه وأحزنه فقدانها في العالم الافتراضي المتخيل للرواية، فمن باب أولى أن يرفض تحقق هذا المأساة على أرض الواقع.

٦- إن نشر ثقافة قبول الآخر ونبذ خطاب الكراهية حاجة ملحَّة للأنا والآخر على حدٍّ سواء، فهو مسؤولية الجميع داخل المجتمع نفسه حتى يحلَّ السلام والأمان بين أفراده؛ ويصبح منتجًا فاعلًا لا تشغله العداوات الشخصية ومشاعر الكراهية عن العمل الجاد لما فيه نفع المجتمع وتطور البشرية.

المصادر:

بوماد، سونيا (٢٠١٦): أنا الآخر. فكرة: محمد سيف الأفخم، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط١.

المراجع العربية:

القرآن الكريم.

إنجيل متى.

البخاري، أبو عبد الله (٢٠٠٢): صحيح البخاري. دار ابن كثير، دمشق–بيروت، ط١.

حسانين، أحمد رشاد (٢٠٠٨): الغرب وصناعة الكراهية: في نقد الإسلاموفوبيا والعولمة، دار أكتب للنشر والتوزيع، مصر.

حنا، ميلاد (١٩٩٨): قبول الآخر: فكر واقتناع وممارسة. دار الشروق، القاهرة، ط١.

عفيفي، فوزي سالم (١٩٨٠): "السلوك الاجتماعي بين علم النفس والدين. وكالة المطبوعات، الكويت.

الغزالي، محمد (٢٠١٨): إحياء علوم الدين. دار الفكر، لبنان، ج٣، ط١.

نجم، محمد (١٩٥٥): فن القصة. دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط١.

المراجع الأجنبية:

برنس، جيرالد (٢٠٠٣): المصطلح السردي. تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١.

بوريس، توماشفسكي (١٩٨٢): "نظرية الأغارض في نظرية المنهج الشكلي – نصوص الشكلانيين الروس" . تر: إبراهيم خطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت / الشركة العربية للناشرين المتحدين، الرباط، ط١.

فرويد، أنّا (٢٠١٨): التحليل النفسي للأطفال. تر: محمد كامل النحاس، وكالة الصحافة العربية، الجيزة.

المجلات العلمية:

بوزيتو، روجيه (٢٠٠٨): الخيال العلمي. تر: محمد عبد الهادي عياد، ع٥–٦ كانون أول.

حسيني، عبد الله (د.ت): البنيوية التكوينية الغولدمانية (الشكل والمنهج)، مجلة أهل البيت، ع٢١.

روبير، أوديل (٢٠١٥): الاستنساخ والكائنات المعدلة وراثيًا. تر: زينة دهيبي، المجلة العربية، ط١.

الهوامش

---

[1] https://youtu.be/ZG5a_ONXW_8.

[2]* يُنظر المنهج البنيوي التكويني (حسيني، د.ت، ص١٣٦).

[3]* التشويق (Suspense): حالة عاطفية أو عقلية تنشأ من قلق ناشئ من عدم يقين جزئي يتعلق بتطور أو نتيجة الحدث وخاصة إذا كان هذا يتعلق بشخصية إيجابية، وعلى سبيل المثال إذا كانت نتيجة ما محتملة، ولكن ليس من الواضح إذا كانت ستحدث أم لا تحدث أو حين تكون النهاية معروفة، ولكن ليس من المؤكد متى وكيف ستحدث. يُنظر (برنس، ٢٠٠٣، ص٢٢٧).

[4]* الحالة العاطفية التي تحدث حين تنقلب التوقعات ويحدث شيء لم يكن في الحسبان، وحدوث المفاجأة يكون فعالًا بصفة خاصة حين يكون ما يحدث بالرغم من أنه يخالف التوقعات إلا أن له أساسًا فيما حدث في وقت سابق. وتداخل التلاعب بين المفاجأة والتشويق يشكل تقليديًا سمة مهمة للعقدة الأمثل.

يُنظر برنس، تر:إبراهيم الخطيب، ص ٢٢٧.

[5]* يُنظر هذا البحث ص٥.

[6]* ينظر الشخصية النامية (نجم، ١٩٥٥، ص٩٩).